

## نجم شعبي محيت ذكره بقرار حكومي

# شروط صعبة على المتقدم لوظيفة الحارس الليلي منها خلوه من الأمراض وحسن السلوك والسمعة



د. أكرم عبدالرزاق المشداني

العراق

## الحارس الليلي الجرخي ذاكرة بغدادية

ارتبط اسم الجرخي أو البصونجي أو الحارس الليلي أو الوحاش، في الذاكرة البغدادية والذاكرة العراقية عموماً بأيام التماسك الاجتماعي والتآلف الحميم الذي تعيشه الأحياء السكنية بحيث كان (الجرخي) يشكل واحداً من أهم أركانها، مع (المختار)، ومأمور المركز، ومأمور البلدية المسؤول عن نظافة الأزقة وعدم وجود مخالفات تؤذي الناس. وقد يضاف إليهم قارئ مقياس الكهرباء والبوسطجي (موزع البريد)، وفي ليالي رمضان يبرز (المسحرجي) كركن من أركان الحي البغدادي والعراقي عموماً. هل تتذكرون الحارس الليلي (الجرخي) يوم كان رمزاً للأمان والطمأنينة في نفوس أبناء المحلة، بل كان واحداً منهم، يحفظ أمنهم وسلامتهم ويحرس دورهم، ويجول في الأزقة والأسواق يحمي الناس والممتلكات ويشيع الطمأنينة في قلوبهم بصافرتة أو بصوته الجهوري وهو ينادي على أحد البيوت بينهم على اقفالها أو كان يناديهم لفتح بابهم لاحد أفرادهم وهو عائد متأخر بعد منتصف الليل من العمل أو من سهرة سمر وأسس.

أتذكر مرة كتب الأخ أرا دمكجيان تعليقا طريفاً يقول فيه:  
أذكر مرة في أوائل الستينات بقينا ساهرين في الليل لسبب ما ويقسبت الإنارة في (الجوش). سمعنا طرقة على الباب، وإذا به الجرخي (الحارس الليلي) يسأل إن كنا بحاجة للمساعدة بسبب وجود مريض أو غير ذلك لأنه لم يعدت أن يرى أضوية الدار منيرة بعد منتصف الليل. هكذا كانت الحياة في محلات بغداد.. الله يرحم تلك الذكريات الطيبة.

ويتساءل الأخ أرا: هل تتذكرون الجرخي؟ وأنا ابتدئ موضوعي بنفس سؤال الأخ أرا: هل تتذكرون الجرخي؟

لقد تألمنا حين قرأنا في الإخبار مؤخراً أن قراراً صدر عن الجهات الرسمية يقضي بإلغاء العمل بنظام الحارس الأهليين أو الليليين لعدم جدواهم فللحارس الليليين تاريخ في الموروث الشعبي البغدادي، بل وسائر مدن محافظات العراق العزيز. فالحارس الليلي (الجرخي) مهنة شعبية تراثية سادت في بعض المدن.

**أصل كلمة الجرخي**  
الجرخي كلمة تركية استخدمت في اللهجة العراقية وتعني الحارس الليلي، (جرخ) يعني دائر أو دورة، والإسم مشتق من دورانه في الأزقة، ويسمى أحياناً النوبجي، ويعني الذي يأتي بالثوب، أي بوقت معين أو فترة عمل محددة، كما يسمونه في الجنوب بالبصونجي، وأحياناً (الوحاش) لأنه يخرج في وحشة الليل. أما في مصر وبعض البلدان العربية فيسمى بالحفري.

منذ تأسيس دولة العراق الحديثة (1921) تم ربط الحارس الليليين بمرکز الشرطة، وكانت مهمتهم إغاثة الشرطة بحفظ الأمن ومنع وقوع السرقات في مناطق عملهم، وكانوا يرتدون قميص الخالكي أو السترة الخاكسية حسب الموسم مع البنطلون الخاكي ويلبسون العقاب والبندما الملطمة، كنا نجلس في (أرطوبة شياك) العقاب، وتم تزويد كل منهم برقم معدني يرمز له ويحمل على صدره. وغالباً ما كان يتم تعيين الشرطة المتقاعدين بوظيفة حارس، وكان لا يقبل تعيين حارس إلا إذا تجاوز الأربعين من العمر.

كان الحارس الليلي رمزاً للأمن والإمان والطمأنينة في نفوس الناس المتعبة من عناء أعمال النهار وتبعاته لتنام مسترخية مطمئنة. وعندما كنا صغاراً، وفي ليالي الشتاء الباردة المظلمة، كنا نجلس في (أرطوبة شياك) البيت المظلم على الشارع العام لننتظر على مرور الحارس الليلي وهو بلباسه الخاكسية، يعتمر في رأسه البندما والعقاب الملحق عليه النجمة الخاسية الخاسية (علامة الشرطة)، وعلى صدره شارة مكتوب عليها رقمه، ويعلق البنديقية الإنكليزية على كتفه ويديه الدوتخي الخشبي ويمسك بيده الأخرى الصافرة ويضع في جزامه حربة، مع بداية عملي تسلمت من تعريف الشرطة فيها الإطلاقات، وهو يضيء في الشارع بثلقت يميناً ويساراً يراقب المحلة ويتأكد من اقفال أبواب البيوت والدكاكين ويرد بصافرتة على صوت صافرة دورية أفراد الشرطة المكلفة

بمراقبة إسم الحراس الأهليين. وفي صبيحة أول يوم من أيام عيدي الفطر والأضحى، كنا نشاهد الجرخي وهو يطرق أبواب بيوت المحلة مهتماً بالعيد منتظراً ماتجود به الأباذي من عبيدة.

وللحارس الليلي مواقف إنسانية غير العادية في حياته، حيث كنا نراه يهرع إلى مساعدة أبناء المحلة أثناء تعرضهم ليللاً إلى الحوادث كالحريق أو المرض.. وما زالت ذاكرتنا تخزن الكثير من حكايات جرخي المحلة وما يواجهه من أحداث وطرائف وهو يستقبل ليلاً العائدين من السكائر الذين تلفظهم آخر الليل الملاهي، وباصواتهم العالية غير المهنية وأغانيتهم وقهقهاتهم السمجة، حيث يتولى الجرخي تسليمهم إلى عوائلهم.

لقد كان الحارس الليلي رمزاً للأمن ويبحث الإمان والطمأنينة في نفوس الناس المتعبة من عناء أعمال النهار وتبعاته لتنام مسترخية مطمئنة.

**مهنة مباركة**  
الحراسة الليلية مهنة لها شرفها وقديستها، وقد بارك الرسول صلى الله عليه وسلم بمن يسهر لحراسة أمن الناس، وهي امتداد جند يعسون بالليل (وقت العسس أي شدة ظلام الليل)، ويظوفون على الناس لحراستهم أثناء نومهم وراحتهم



الجرخي .. صورة شخصية



الجرخي في المتحف العراقي

يعسون بالليل (وقت العسس أي شدة ظلام الليل)، ويظوفون على الناس لحراستهم أثناء نومهم وراحتهم.

**قانون تنظيم الحارس الليليين**  
بعد تاريخ تأسيس قوة الحارس الليليين، إلى عهد الاحتلال البريطاني حيث تم استخدامها مع تشكيلات الشرطة، وقد ساهم قانون أصول المحاكمات الجزائية البغدادي الصادر في سنة 1918 بالخبراء العموميين. واستمر ارتباط الحارس الليليين بمرکز الشرطة. فحريجة التسعينات أفسدوا سمعة المهنة؛ وفي التسعينات تم تشكيل لجنة لوضع قانون للحارس الأهليين (هكذا تمت تسميتهم الجديدة بدلاً من الليليين) ينظم شؤون الحراسات الأهلية، من خلال مبلغ معين من المال تدفعه العائلة عن الحراسة المنزلية، وتضاف نسبة أخرى عند وجود سيارة لدى العائلة، وتؤخذ نسبة أكبر من أصحاب المحلات والمصالح التجارية من بقائلين وأصحاب مهن، وكان يفترض أن تذهب الأموال إلى محافظة بغداد لشعبية الحراس، لتقوم بإعادة توزيعها كرواتب على الحراس، أو تدفع لرئيس الحراس ليقيم بتوزيعها على من يتبعون له، ولكن هذه التجربة الجديدة تصادفها الكثير من الخلل والفساد، حيث أنبسط مهمة (رئيس الحراس) ببعض المنفقين حزبياً، وكانوا يعيرون أقاربهم من غير المنفقين، ورغم أن القانون نص على مسألة رئيس الحراس عما يقع ضمن منطقتهم من سرقات، إلا أن التجربة تلتكت وأرادت إلى الوراء.. وانتهت تجربة الحراس الأهليين بعد أن دخل للهيئة المنفقون والمنفقون وصارت مجالاً للكتسب والفساد ولم يعد الجرخي كما كان حارساً وفيها مخلصاً كما في عقود مضت.

وصار المواطن المسكين لا يرى (الحراس) الا صبيحة يوم العيد، ممن لم يتباههم يوماً قبلها، وهم يبتزون الناس بطلب العديديات وياويل من يمتنح..

**قصة حقيقية عن بساطة الجرخي وطيبته**  
أتذكر حادثة تدلل على بساطة الجرخي أيام زمان، فقد كان في إحدى ليالي شتاء عام 1962 مجموعة من الشباب يوزعون نشرات سياسية مضادة للحكومة موضوعة داخل أطرف رسائل، على الدور السكنية في إحدى محلات الكرخ، بعد منتصف الليل، فوق أهدمهم في قبضة (جرخي) فسأل الجرخي هذا الشاب: ماذا تفعل في هذا الوقت؟ فاجابه بإرتباك:

(عمي هذا بريد مال الناس، وإحنة ماتلحك إنوزع البريد بالنهار فنجي إنوزعه بالليل!!).. فما كان من الجرخي البسيط إلا أن قال له: (بارك الله بكم ولدي.. اهل البيريد .. داوم وليدي وزع بريدك!!).

مما زادنا في هذا الوقت؟ فاجابه بإرتباك:

(عمي هذا بريد مال الناس، وإحنة ماتلحك إنوزع البريد بالنهار فنجي إنوزعه بالليل!!).. فما كان من الجرخي البسيط إلا أن قال له: (بارك الله بكم ولدي.. اهل البيريد .. داوم وليدي وزع بريدك!!).

الخامسة والنصف يهودي كبير السن يدعى ابو نسيم وهو يخرج من الكنيس الخاص بهم في محلة (كتكيجة) ليتمر على بيوت اليهود بطرقها بيتاً بيتاً، وهو يهيب بالمواطنين على الصلاة منهم وهو يسميهم باسمائهم الواحد بعد الآخر وهو يصح: ..أفور.. ابو منشي.. لاوي شأول.. خضوري.. افور.. ابو منشي.. لاوي اقدم.. اقدم.. تم يستدير إلى الجانب الآخر من العكد ليطرق بيتاً آخرى وهو يصيح: ..حسبسيل.. ابو البهاو.. شمسيل.. ساسون.. موشي.. زغرور.. اقدم صلاة الصبح فليجة.

**قصة الحرامي أبو الزيد!!!**  
ومن الروايات الطريفة التي برويها الجرخي سيد عباس، متحدثاً عن واحدة من الأحداث التي وقعت لأحد الحراس الليليين مع الحرامية في زمانه قاتلاً:  
(سطا أحد الحرامية في بغداد على أحد البيوت في محلة من محلات بغداد وفي ليلة من ليالي الصيف التي ينام فيها الناس على السطوح استيقظ أهل البيت على صوت وحركة داخل المنزل.. وعندما نزلوا من السطح ولما أحس بهم الحرامي .. هرب مسرعاً إلى الدريونة، وهنا أخذ أهل البيت بالصياح ..مستنجدين بالجيران: (حرامي.. الزم.. حرامي)، وهنا استيقظ الجيران واطلوا من سطوحهم على الطريق ليشاهدوا الحرامي وهو يركض مذعوراً، أفيدت النساء والأطفال بالصراخ والعياط والولولة.. (بيوه.. بيوه.. حرامي انزول نرك!!) وفي هذه الأثناء تناول أحد الجيران (تكتة) من على (التيغة) وقذف بها على الحرامي، وعندما أخطأته أحدثت صوتاً عالياً يرتطمها بالأرض كصوت الفرقة، فما كان من الحرامي إلا أن يلتفت صوب الشخص الذي ضربه بالتيكتة (وجابه بركب قوي) وعندما سمع أهل الدريونة ذلك تحول صياحهم وعباطهم إلى (ضحك) في وسط الليل الاسود الذي جلب انتباه (الجرخي) من بعيد فهرع ليلقي القبض على الحرامي ويضربه ضرباً موحباً بالجيران ويقفاده إلى المرکز (القلع).. ويشفي غليل الناس الذين فرؤوا مفزوعين من نومهم تلك الليلة من الحرامي أبو زيدا..

ومن تتذكر من زملائك في مهنة الجرخيية؟ اجاب السيد عباس قاتلاً:  
(لقد كان ذلك وقتاً طيباً عشائه مع مجموعة خيرة من أخواننا الحراس الليليين الذين أذكر منهم سلمان حسين بكال الذي كانت منطقة حراسته في السنك وجاسم الخباز (وهو خباز في النهار ومن أهل الفضل) وجوي الشمري اللذين كانا يحرصان في شارع الرشيد سوية.

**مواقف إنسانية للجرخيية**  
وللحارس الليلي - الجرخي - مواقف إنسانية أخرى غير الحراسة، فتراه يهرع إلى مساعدة أبناء المحلة أثناء تعرضهم ليللاً إلى الحوادث كالحريق أو المرض.. وما زالت الذاكرة تخزن الكثير من حكايات جرخي المحلة وما يواجهه من أحداث وطرائف وهو يستقبل ليلاً العائدين من السكائر الذين تلفظهم آخر الليل الملاهي، وباصواتهم العالية غير المهنية وأغانيتهم وقهقهاتهم السمجة، حيث يتولى الجرخي تسليمهم إلى عوائلهم.

**مواقف إنسانية للجرخيية**  
وللحارس الليلي - الجرخي - مواقف إنسانية أخرى غير الحراسة، فتراه يهرع إلى مساعدة أبناء المحلة أثناء تعرضهم ليللاً إلى الحوادث كالحريق أو المرض.. وما زالت الذاكرة تخزن الكثير من حكايات جرخي المحلة وما يواجهه من أحداث وطرائف وهو يستقبل ليلاً العائدين من السكائر الذين تلفظهم آخر الليل الملاهي، وباصواتهم العالية غير المهنية وأغانيتهم وقهقهاتهم السمجة، حيث يتولى الجرخي تسليمهم إلى عوائلهم.

**مواقف إنسانية للجرخيية**  
وللحارس الليلي - الجرخي - مواقف إنسانية أخرى غير الحراسة، فتراه يهرع إلى مساعدة أبناء المحلة أثناء تعرضهم ليللاً إلى الحوادث كالحريق أو المرض.. وما زالت الذاكرة تخزن الكثير من حكايات جرخي المحلة وما يواجهه من أحداث وطرائف وهو يستقبل ليلاً العائدين من السكائر الذين تلفظهم آخر الليل الملاهي، وباصواتهم العالية غير المهنية وأغانيتهم وقهقهاتهم السمجة، حيث يتولى الجرخي تسليمهم إلى عوائلهم.

حارس رقما، و(تكتة) قديمة من النوع القديم ذات الزناد الشلخ (الترباس) ومن البنادق التركية القديمة أو الإنكليزية مع خمسة إطلاقات وأخبرني بان الحارس الليلي المناوب هو موسى الساعدي حيث أسلم منه واجب الحراسة بعد الساعة الثانية عشر ليلاً وفي الساعة السادسة صباحاً إذا كنت (مصحجي) ويستلم هو مني بدوره التفتة والعتاد إذا كنت أقوم بواجب الحراسة (أخشمجي) وعندما ينتهي دور المصحجي يتوجب عليه تسليم البنديقية والعتاد إلى مأمور المشجب في مخفر الشرطة ويعطي تمام خبر بان منطقتة ليس فيها حوادث وعلى هذا الأساس يتبادل الحراس المناوبان الواجب مرة صباحاً ومرة مساءً.)

اما بخصوص كيفية اجراء الحراسة في المنطقة، يقول السيد عباس:  
(تبدأ الحراسة من الوقت المخصص وذلك بالتجول في المنطقة مع ارتداء الملابس الخاكي (حيث يتوجب على كل حارس شراء بنطلون خاكي مع سترة ذات ازرار نحاسية وعلى حسابها الخاص حيث أن سعر البنطلون في حينها (50 فلس) والسترة كذلك وعليه أن يشتري (لاجين) أو (بسطل) (حذاء) مع (جرز) وهو عبارة عن عصا رفيعة من جانب يها حلقة جلدية لمسكها منها بيده، وجانبها الأخرى اغلظ قليلاً مرصع بمجموعة من المسامير الصفراء العريضة الرأس، وعلى الحارس ان يشتري كذلك مطفا خاكي او بلون آخر شتاء، وأثناء تجواله يضع خنجر (او حربة بندقية) في حزامه مع علبه جلدية صغيرة يضع الإطلاقات الخمسة فيها وأن يعلق البنديقية على كتفه وأن يضع الصافرة في جيب سترته بفيضان يعلق في كتفه الأيمن وعليه مراقبة أبواب المحلة وأن يبينه أصحابها في حالة بقائها مفتوحة ليلاً وكذلك يبينه على الدكاكين غير المغفلة، وأن يقوم بين حين وآخر بالصغير بصافرتة عندما يسمح صافرة الدورية التي تخصص من أفراد الشرطة لمراقبة الحراس والمؤلف من تعريف ونقر من الشرطة وتتأكد من انجازهم واجباتهم أو الرد على صافرة مفتش الحراس المدعو (شلال) مع حارسين من تواجدهم في مناطقهم المخصصين للحراسة فيها).

وأضاف السيد عباس: (كما كانت تحفظ اسلحة الحراس نهاراً في مشجب السلاح في المرکز (القلع) أو المخفر التابعين اليه وتوزع عليهم قبل غروب الشمس من قبل تعريف دوريات المرکز أو التعريف والخفر بدوره على الاسلحة والعتاد قبل ارسالهم إلى الواجبات المعنية لهم، ويدون في سجل المرکز اليومي اسماء الذين حضروا منهم وتسلموا سلاحهم وعتادهم كما يشرح في السجل الغائبين ثم يسلم التعريف نفسه أو من يخلفه تلك الاسلحة بعد انتهاء الحراس من واجباتهم صباحاً، مع تدوين ما قد لحق بالسلاح او العتاد من ضرر أو نقص في السجل المذكور واجراء التحقيق حالا مع الحارس الذي يسبب ضرراً أو عارضاً بسلاحه او نقص بعتاده).

**الحراسة الليلية مهنة لها شرفها وقديستها، وقد بارك الرسول صلى الله عليه وسلم بمن يسهر لحراسة أمن الناس، وهي امتداد لهنة (العسس) في عهد الخلفاء الراشدين، وهم جند يعسون بالليل (وقت العسس أي شدة ظلام الليل)، ويظوفون على الناس لحراستهم أثناء نومهم وراحتهم**



مختار المحلة